الفصل الأول : الأسلوبية المفهوم والدلالة

تمهيد:

لا شك أن تحديد المصطلحات له سر هام في مجالات البحث العلمي، لأنه الوسيلة التي نستطيع من خلالها التحديد الدقيق للمفاهيم التي نناقشها، ومن ثم الوصول لي درجة أدق من درجات الفهم، ثم إنه رصد للتطور الداخلي في فرع من فروع المعرفة [1] ولذلك نجد أن العلماء قديما وحديثا اهتموا بمعاجم المصطلحات، فمنها معجم لتعريفات للجرجاني وكشاف المصطلحات الفنون وغيرها، أما في العصر الحديث فقد تنبه النقاد إلى ضرورة وجود المعاجم التخصصية حتى توجه لجمهور معين مثل معجم مصطلحات النقد الحديث لحمادي صمود، ومعجم المصطلحات الأدبية لمجدي وهبة وغيرهما، إذ لا غنى لمتخصص عن مثل هذه المعاجم لأن الإستغناء عنها لا يتم إلا بعد مدة من التحصيل.[2]

المبحث الأول: الأسلوب والأسلوبية

المطلب الأول: مفهوم الأسلوب والأسلوبية.

أولا: عند العرب:

1-**الجذر اللغوي** :كلمة أسلوب في اللغة العربية مجاز مأخوذة من معنى الطريق الممتد أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب، هو الطريق والوجه والمذهب يقال: تم في

[1] أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، د ط ت، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، ص15.
[2] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت/لبنان ، وسوشبريس بالدار البيضاء 1405هـ/1985م، ص.1

أسلوب سوء ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن يقال أخذ في أساليب من القول أي أفانين منه، وإن أنفه لفي أسلوب كذا إذا كان متكبرا .[1]

ويتناول الزبيدي مادة سلب، فيقول: ((سلبه الشيء يسلبه سلبا كإختلاسه إياه، ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله، وناقة وامرأة سالب و سلوب و مسلب إذا مات ولدها قبل أو ألقته لغير تمام وظبية سالب و سلوب سلبت ولدها، ومن المجاز :شجرة سليب، سلبت ورقها وأغصانها والأسلوب السطر من النخيل والطريق يأخذ فيه وكل طريق ممتد فهو، أسلوب، والأسلوب الوجه والمذهب يقال:هم في أسلوب سوء ويجمع أساليب، وقد سلك أسلوبه:طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، من المجاز الأسلوب الشموخ في الأنف))[2]

وبالنظر إلى التحديد اللغوي لكلمة الأسلوب، يمكن تبين أمرين :

أولا: البعد المادي الذي يمكن أن نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة، من حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطريق الممتد أو السطر من النخيل، ومن حيث ارتباطها بالنواحي الشكلية أحيانا كعدم الإلتفات يمنة ولا يسرة.

ثانيا : البعد الفني الذي يتمثل في ربطها بأساليب القول و أفانينه، كما قال ابن منظور.[3]

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دط ت، دار المعارف بالقاهرة، ص ،2058مج .
[2] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، دط،المجالس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت، 1394هـ/1984م، ص ،71مج .3
[3] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت/ لبنان، 1994م، ص .10

1- اصطلاحا:

أ- عند القدماء :

إننا لا نكاد نعثر على كلمة أسلوب مصطلحا عند العرب على كثرة من تحدث في قضايا النقد والبلاغة العربية، وإن ورد هذا المصطلح فإنه يرد عندهم بمعناه العام، أي طريق ومنهج ومسلك، وأكثر ما راودت فكرة الأسلوب وجوه الأداء الكلامي، عند المفسرين والبلاغيين والنقاد منذ القرن الثالث الهجري، وقد استأثر موضوع الإعجاز القرآني باهتمامهم البالغ فانصرفوا إلى تحديد وجوهه وتجلياته في القرآن الكريم على اعتبار أن الإعجاز متصل بالجانب البياني أساسا وكان ابن قتيبة الدينوري 276هـ قد لاحظ أن دراسة الأساليب الكلامية في لغة العرب ضرورة لفهم الأسلوب القرآني، فلفت النظر إلى أهمية دراسة تلك الأساليب، على اعتبارها أداة لفهم فكرة الإعجاز الذي ينطوي عليه الأسلوب القرآني، حيث يقول: ((وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون ميع اللغات، فإنه ليس في الأمم أمة أوتيت من البيان واتساع المجال ما أوتيته العرب))[1] وقد ظل لبحث الأسلوبي قائما على وصف وجوه الاستخدام اللغوي، وملاحظة وجود المنبهات الأسلوبية إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني 471هـ فقدم تصورا دقيقا لمفهوم الأسلوب حيث قال: ((واعلم أن الإحتذاء عند الشعراء،وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له غرض وأسلوبا

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث بالقاهرة،1393 هـ1973 /م، ص.

والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب يجيء به في شعره)).[1]

الاحتذاء الذوبان في أساليب الآخرين، بل المقصود من ذلك هو الوعي في عملية لتركيب لأن منها ما لا يعرفه إلا ذووا الأذهان الصافية والطباع النافذة، ثم أشار إلى أن حالات الأسلوب في النظم لا تخرج عن تركيب الألفاظ في الأنساق بصورة تتبع رتيب المعاني في نفس المتكلم، ومن خلال ذلك تنبه لصلة النحو بالمعاني حيث قال بعدما صل لهذه القاعدة: ((ما أظن بك أيها القارئ لكتابنا إن كنت وفيته حق النظر وتدبرته ق لتدبر إلا أنك علمت علما، أبى أن يكون للشك فيه نصيب، وللتوقف نحوك مذهب أن ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو))،ولم يتوقف إدراك معنى الأسلوب في النقد القديم عند هذا الحد، فبعد عصر الجرجاني مباشرة يظهر لنا الزمخشري 38هـ، بإدراك لمعنى الأسلوب لا يقل أهمية عمن سبقه من المحاولات، حيث يربط رحمه الله ين لأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة وهذا ما نلاحظه في تفسيره لسورة الفاتحة حيث تحدث عن خاصية أسلوبية تعرف بالإلتفات عند البلاغيين، بسم الله الرحمن الرحيم((**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين**)) الفاتحة.1- 7

يقول الزمخشري : ((فإن قلت : لما دل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، قلت: هذا يسمى الإلتفات

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة 1413ه 1992م ، ص 468

في علم البيان وقد يكون من الغيبة لى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿**(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)**﴾ يونس22. وذلك على طريقة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه،ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب لى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية للسامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من أسلوب واحد [1])) .

ويؤكد الزمخشري هذا المنحى لفهم الأسلوب في كشفه عن وجوه الحسن في قوله تعالى: ((**الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3)))** حيث يقول: ((وهذا لأسلوب صحيح محكم، أثبت أولا أنه تتريل من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: أم يقولون افتراه، لأن " أم" هي المنقطعة الكائنة معنى "بل"، والهمزة إنكار لقولهم وتعجبا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك)) [2]

من خلال هذا الكلام يظهر أن الزمخشري، يستند في تحليله للنص القرآني، إلى مناهج البحث البلاغي من ناحية، والتركيب النحوي من ناحية أخرى، محاولا الوصول إلى أقصى درجة من التذوق، من خلال رصد الخصائص الأسلوبية في النص القرآني .

ويبدو أن السكاكي626 هـ استوعب ما قدمه الزمخشري، حيث ربط بين الأسلوب والخاصية التعبيرية أيضا فبحث الإلتفات، وأكد أنه خاصية أساسية في الأداء الفني تميز بها الأسلوب، حيث

[1] محمود بن عمر الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقوال في التأويل، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي بيروت/لبنان، 1407هـ/1987م ،ص ، 14مج .
[2] المرجع السابق ،ص ،218مج.

يقول: ((واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام من الحكاية إلى لغيبة ...يسمى إلتفاتا عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك أليس قرى الأضياف سجيتهم، ونحر العشار للضيف دأبهم .....أفتراهم يحسنون قرى الأشباح ولا يحسنون قرى الأرواح، فلا يخالفون بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد، فإن الكلام المفيد عند الإنسان أشهى غذاء لروحه، وأطيب قرى لها))[1] و يبدو أن مفهوم الأسلوب وجد مجالا طيبا عند حازم القرطاجني 684 هـ، ذلك لأنه وجد أمامه تراثا وافرا في هذا المجال ، جاء بعضه من المشرق وبعضه الآخر من التراث اليوناني ومن خلال استيعاب هذين التيارين، خرج لنا بدراسة أكثر شمولا لمفهوم الأسلوب، لأنه كسر الحاجز الذي وضعه عبد القاهر في محاولة دراسة النظم عند حدود الجملة الواحدة، حيث وجد مفهوما للأسلوب يأتيه من قبل أرسطو، ومفهوما للنظم يأتيه من قبل عبد القاهر، ومن هنا سار في تحديده لمفهوم الأسلوب، متأثرا أحيانا بنظرة أرسطو إلى العمل الفني باعتباره وحدة متكاملة تمتد لتشمل القطعة الأدبية كلها، ملاحظا انتقال الشاعر من موضوع إلى موضوع في تسلسل وترابط معنوي ، ومتأثرا أحيانا أخرى بالنظم على نحو ما قدمه عبد القاهر يقول : ((ولما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنى :كجهة وصف المحبوب، وجهة وصف الطلال، وكانت تحصل للنفس بالإستمرار على تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلى بعض

[1] أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت/لبنان، 1420 ه/ 2000 م، ص 296

وبكيفية الإطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب ...فالأسلوب هيئة تحصل عن التآليف المعنوية والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية)) [1].

أما ابن خلدون رحمه الله 732 هـ، فإنه يتناول الأسلوب في فصل صناعة الشعر، حيث أنه لما تكلم عن الشعر، وما يجب فيه من الملكة اللغوية للقدرة على صناعته، تكلم عن أسلوب تصريف هذه الملكة ((ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها ، واستعمالها فيه ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة، وما يريدون بها في إطلاقهم، فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ...وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو .. المنوال، ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان))[2].

ومن هذا التعريف للأسلوب عند ابن خلدون، نلاحظ أنه يربط بينه وبين الملكة اللغوية وهي القدرة اللغوية التي تمكن الفرد من التعبير عما يريد فى المناسبات المختلفة، وهي التي يسميها تشومسكى بالكفاءة اللغوية كما أن نراه في باب المنظوم والمنثور يربط بين الأسلوب والفن الأدبي والمقام

[1] عبد القاهر الجرجاني . البلاغة والأسلوبية ص 28
[2] عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق الأستاذ خليل شحادة وسهيل زكار، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان 1421 ه/ 2001 م ،ص 786

المناسب لكل واحد منهما، حيث لابد من التفريق بين أسلوب النثر والشعر ، ((واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ...وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور من باب الشعر وفنه، ولم يفترقا إلا في الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية)) [1] وعلى هذا فإن ابن خلدون يرى وجوب التفريق بين أسلوب الشعر وأسلوب النثر، لأنه لكل مقام مقال وضرب على ذلك مثال بالمخاطبات السلطانية التي أصبح المتأخرون يستعملون فيها أساليب الشعر من كثرة الأسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب، وهذا ما لا يناسب جلالة الملك، إذ المحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وإطلاق الكلام من غير تشجيع إلا في النادر.

ب – عند المحدثين:

حاول الرافعي 1870 هـ من خلال كتابه إعجاز القرآن، أن يقدم رأيا خاصا به، متأثرا في ذلك بالجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ويعود ذلك إلى الفترة المبكرة التي حاول فيها أن يمد بصره إلى مفهوم التركيب وجزئياته، وربطه بالنطق الفكري عند المتكلم ثم ربطه بالمتلقي وخواصه النفسية، حيث يقول : ((قد ثبت لنا من درس أساليب البلغاء، وترداد النظر في أسباب اختلافها، وتصفح وجوه هذا الإختلاف وتعرف العلل التي أثرت في مباينة بعضها لبعض من

[1] المرجع السابق ، ص 782

طبيعة البليغ وطبيعة عصره، أن تركيب الكلام يتبع طبيعة تركيب المزاج الإنساني))[1] ،كما يرى أن أفصح الكلام، وأبلغه وأجمعه لحر اللفظ ونادر المعنى، هو الجدير بأن يطلق عليه كلمة "الأسلوب"، ولكي تكون له هذه الجدارة، فلا بد أن تفرغ فيه الأحاسيس المثارة، بحيث يمكن أن يمثل حديثا بين المتكلم ونفسه من جانب، وبينه وبين المتلقي من جانب آخر [2].

أما توفيق الحكيم فإنه يرفض أن يكون الأسلوب قالب اللغة المنمقة والمصنعة، إنما هو روح وشخصية حيث يقول : ((إن الأسلوب السليم لم يزل في عرفنا مرادفا للغة المصنعة المنمقة، وقليل من فطن إلى أن الأسلوب روح وشخصية .....))[3] ، وهذا التصور الذي قدمه يقترب من تعريف بوفون لما قال : ((لأسلوب هو الرجل ذاته)) ومعنى ذلك أن لكل إنسان طريقته الخاصة في التعبير إلا أنه رفض ما يتداول بين الناس من أن الأسلوب عبارة عن الألفاظ المصنعة، ولا يمنعه ذلك من مواصلة البحث عن حقيقته،محاولا أن يستلهمه من التراث، ومن الحياة معا ((إني دائما أضع نصب عيني هذه المصادر الثلاثة أستلهمها فنيا :القرآن وألف ليلة وليلة والشعب أو المجتمع ...ولطالما شغلتك معي بالحديث عن الأسلوب الفني الذي أبحث عنه....)) [4]

وأما أحمد الشايب فيعد كتابه « الأسلوب » من أهم المحاولات في دراسة الأسلوب والبحث في مجالاته، وهو عبارة عن محاولة لعرض البلاغة العربية القديمة في ثوب معاصر، وقد حصر البلاغة في بابين هما : الأسلوب والفنون الأدبية .

[1] مصطفى صادق الرافعي، تارخ آداب العرب،الطبعة الأولى،دار الكتاب العربي، بيروت/لبنان، 1424 ه/ 2003 م،ص 134 ج 2 .
[2] محمد عبد المطلب . البلاغة والأسلوبية .ص 88
[3] شكري محمد عياد، مبادئ في علم الأسلوب، الطبعة الثانية، مكتبة مبارك العامة بالقاهرة، 1413 ه/ 1992 م، ص 15
[4] المرجع السابق ، ص 16

ففي الباب الأول، درس القواعد التي إذا اتبعت كان التعبير بليغا فدرس الكلمة والجملة والفقرة والعبارة والصورة، والأسلوب من حيث أنواعه ومقوماته وموسيقاه، أما في الباب الثاني وسماه قسم الإبتكار وفيه درس الكلام من حيث الإختيار والتقسيم، وما يلائم كل فن من الفنون الأدبية، كالقصة والمقالة وغير ذلك، ثم خلص إلى أن الأسلوب هو:الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أي هو عبارة عن طريقة في الإنشاء والكتابة، أو هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني الكامنة في النفس .[1]

ومن الدراسات الحديثة التي كان لها أثر فعال في بعث الدراسات البلاغية من جديد، بطريقة توافق ما استجد من مفاهيم في العصر الحديث كتاب فن القول لأمين الخولي، وهو بذلك يهدف إلى التجديد في ميدان البحث البلاغي، متأثرا بالمدرسة الإيطالية ، المتمثل في « لاباريني » في كتابه (الأسلوب الإيطالي) (و لويجي فالماجي) في كتابه (عناصر الأسلوب والعروض)

ونظر لأن الكتابين من الكتب المدرسية الميسرة لم يقدر لأمين الخولي الإطلاع إلا على التيار اليسير من هذه التيارات الخصبة، مكتفيا بالشرارة الأساسية لهذه التوجهات المنهجية الجديدة [2] ، ورؤيته للأسلوب تنطبق مع رأي بوفون لما قال : (الأسلوب هو الرجل) ، حيث لما يتعرض لمناهج الغربيين في دراسة البلاغة ، يرى (أن الأساليب لا تتفاوت إلا بما تتفاوت به شخصية المتكلم وثقافته وأناقته والشخص هو الأسلوب أو الأسلوب هو الشخص) وقد اتبع في كتابه منهج

[1] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان/الأردن . 1427 ه/ 2007 م، ص 26
[2] أمين الخولي، فن القول، تقديم صلاح فضل، دط، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، تاريخ النشر 1996 م، ص 9

المقارنة بين القديم والجديد، لينتهى بعد ذلك بتخلية القديم مما لا خير فيه، ثم تحليته بخير ما في الجديد) [1]

ثانيا : عند الغربيين:

أ ـ **الجذر اللغوي:** يري الباحثون الفرنسيون أن أصل كلمة style التي يستعملونها اليوم بمعنى أسلوب، الكلمة اللاتينية stilus ، التي تعني إ زميلا معدنيا كان القدماء يستعملونه للرسم على ألواح مشمعة ،[2] ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفاهيم تتعلق كلها بطريقة الكتابة، فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية دالا على المخطوطات، ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية، فاستخدم في عهد خطيبهم المشهور " شيشرون " كاستعارة تشير إلى صفاة اللغة المستعملة من قبل الخطباء والبلغاء،وقد ظلت هذه الطبيعة عالقة إلى حد ما بكلمة الأسلوب، حتى الآن في هذه اللغات، إذ . تنصرف أولا على الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق .[3]

وعلم الأسلوب هو الذي يطلق عليه في الإنجليزية stylistics ، وفي الفرنسية la stylistique ، والباحث في الأسلوب stilistican [4] واستخدم مصطلح أسلوب لأول مرة في اللغة الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر في معجم grimm وورد لأول مرة في اللغة الانجليزية كمصطلح عام 1846 م، طبقا لقاموس أكسفورد، ودخل القاموس الفرنسي لأول مرة عام 1872 .[5]

[1] المرجع السابق ، ص 25
[2] علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1979 م، ص 306 .
[3] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، الطبعة الأولى، دارالشروق بالقاهرة ، 1419 ه/ 1998 م، ص 93.
[4] محمد عبد المطلب . البلاغة والأسلوبية ص 175 .
[5] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته . ص 94 .

وسارت الإستعمالات والدراسات الأسلوبية على هذه العناية بالشكل وكأن الأسلوب مرادف أدبي لكلمة ، forme التي نترجمها بكلمة شكل أو صورة أو صياغة، وهذا المعنى قالوا أسلوب فلان، وأسلوب العصر الفلاني وأسلوب المدرسة الفلانية، وإذا قالوا styliser أسلب عنوا أنه جعل أسلوبه مزوقا، أو أنه صاحب أسلوب أو أسلوبي، أي ذو اهتمام بشكل كتابته .[1]

ب – اصطلاحا:

أولا :الأسلوب:

أجمع الباحثون اليوم على أن مقولة الأسلوب من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما، إلا أنهم اختلفوا في تعريفاتهم له فليس هناك تعريف للأسلوب يتمتع بالقوة الكاملة على الإقناع، ولا توجد نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله، وقد أدى هذا إلى أن يأتي كثير من الباحثين في مقدمة كتبهم على الأسلوب بعرض مجموعة من التعريفات تصل في بعض الأحيان إلى نيف وثلاثين تعريفا[2] ، وإذا فحص الباحث تراث التفكير الأسلوبي اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطب والمخاطب والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت أصوليا على إحدى هذه الركائز الثلاث [3].

[1] علي جواد الطاهر مقدمة في النقد الأدبي ، ص 310 .
[2] صلاح فضل علم الأسلوب ص 95
[3] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب، دت، ص 61

1- الأسلوب من زاوية المخاطب: وتتقدم هذه الدعامة على الدعامتين الأخريين لأن الرسالة اللغوية من حيث حدوثها تنبثق من منشئها تصورا وخلقا وإبرازا للوجود [1].

ويقوم هذا المنظور على أساس التوحيد بين المنشئ وأسلوبه، وهذا ما يؤدي إلى التلاحم التام بين الأسلوب ومنشئه، حيث يكون الأسلوب هو الكاشف عن مكنونات صاحبه ومرآة عاكسة لشخصية المخاطب، لذلك نجد أن الأساليب تختلف من شخص لآخر، وهذا الذي تعارف علية النقاد والفلاسفة من قديم الزمان حيث يقول أفلاطون (كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه)[2].

أما موريه فيرى أن الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود وشكل من أشكال الكينونة، وليس في الحقيقة شيء نلبسه ونخلعه كالرداء، ولكنه الفكر الخالص نفسه، والتحويل المعجز لشيء روحي .[3]

وقد أثرت هذه الفكرة فيمن جاء بعده من رواد النقد الأدبي، ومنظري الأسلوب، فتبناها " شوبنهاور " فعرف الأسلوب بكونه ملامح الفكر، وتمثلها " ماكس جاكوب "، إذ قال (إن جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته) وعلى هذه الأقوال فإن نظرية الأسلوب تعد بمثابة الإسقاط لمخبئات شخصية لإنسان (أما كلودا فيرى أن الأسلوب خاصية طبيعية يوهب الإنسان إياها، فهو بمثابة نغم لشخصيته مثلما لصوته نبرة لا تختلط بنبرة أصوات الآخرين)[4] .

2 -الأسلوب من زاوية المخاطب: يمثل المخاطب البعد الثالث في العملية الإبلاغية، و له دور مهم ومؤثر، فكما لا يوجد نص بلا منشئ كذلك ليس ثمة إفهام أو تأثير بلا قارئ، فهو الحكم

[1] المرجع السابق ص 64 .
[2] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، دط، إتحاد الكتاب العرب، تاريخ النشر 2000 م، ص 43
[3] صلاح فضل علم الأسلوب ص 97
[4] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 67

على الجودة، وهو الفيصل في قبول النص أو رفضه، و يعمد الفكر الأسلوبي إلى منهج اختباري في إثبات حضور المتقبل في عملية الإبلاغ، فإذا استندنا إلى التجربة، اهتدينا إلى أن المتكلم يكيف صيغة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم، وعلى هذا المستند ترى الواحد منا يخاطب الصغير تلقائيا بما لا يخاطب به الكبير، وتراه يخاطب الرجل بما لا يخاطب به المرأة وغير ذلك، فانعكاس حضور المتقبل على الخطاب يعلم بالضرورة، وهو ما يمكن استغلاله في بلورة الأبعاد السوسيولوجية والنفسية في الظاهرة اللغوية [1]. أما "ريفاتير" فيحدد الأسلوب اعتمادا على أثر الكلام في المتقبل فيعرفه بأنه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الإنتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية [2].

3- الأسلوب من زاوية الخطاب: يعتبر تحديد ماهية الأسلوب باعتماد جوهر الخطاب، الركن الضارب في مجمع رؤى الحداثة، لما يتجذر فيه من ركائز المنظور اللساني، فإذا كان الأسلوب في فرضية (المخاطب) عبارة عن انعكاس لأشعة البث وشخصيته،وكانت فرضية (المخاطب) رسالة مغلقة لا يفض جدارها إلا من أرسلت إليه، فإنه في فرضية (الخطاب) موجود في ذاته، بحيث يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه و محتضنه، ولكن دون أن تعلق ماهيته على أحد منهما، وصورة ذلك أن النص إذا كان وليدا لصاحبه، فإن الأسلوب هو وليد النص ذاته [3]. وأول ما يطالعنا في ذلك ما ذهب إليه " شارل بالي "، حيث حصر مدلول الأسلوب في تفجر طاقات

[1] المرجع السابق ص 80
[2] يوسف أبو العدوس الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 37
[3] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 89

التعبير الكامنة في اللغة ويعرفه "ماروزو " بأنه اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه [1].

ثانيا : تعريف الأسلوبية :

يعترف كثير من الدارسين واللغويين أن كلمة أسلوبية لا يمكن أن تعرف تعريفا جامعا شاملا، نظرا لرحابة الميادين التي أصبحت هذه الكلمة تطلق عليها، إلا أن هناك من عرفها، وقال أنها تعني بشكل من الأشكال التحليل لبنية النص، ومن هنا يمكن تعريفها على أنها : (فرع من اللسانيات الحديثة، مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية، أو للإختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات الأدبية وغير الأدبية) [2] ،أما إذا تصفحنا الجذر اللغوي للأسلوبية، فنجدها تنقسم إلى قسمين : (أسلوب) ولاحقته (ية) فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي بمعنى نسبي، واللاحقة تختص بالبعد العقلي الموضوعي، لذلك تعرف بأنها البحث في الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب [3].

المطلب الثاني : نشأة الأسلوب والأسلوبية .

إذا اتبعنا تاريخ مصطلحي الأسلوب والأسلوبية فإننا نجد أن الأسلوب أسبق من الناحية التاريخية، وأوسع من الناحية الدلالية والمعنوية ذلك أن الأسلوب واكب فترة طويلة مصطلح البلاغة دون أن يكون هناك تعارض بينهما، بل كان الأسلوب يقف من البلاغة موقف المساعد على تطبيق

[1] عدنان بن ذريل النص والأسلوبية . ص 44
[2] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق . ص 35
[3] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 34

القواعد المعيارية التي تحملها إلى الفكر الأدبي والعالمي منذ العهد الإغريقي، وتمثل ذلك في كتابات أرسطو عن الشعر والبلاغة على نحو خاص [1].

وهذه الكتب التي أثرت كثيرا في الفكر البلاغي الأوربي والعربي في العصور الوسطى، لكن هذه القواعد البلاغية كانت تحتاج إلى قواعد أخرى تصنيفية تسهل تقسيم الكلام بحسب مراتبه الفنية، وتلك القواعد كان يتكفل بها أعلم الأسلوب، ومن هذه الزاوية عرف البلاغيون في العصور الوسطى تقسيم طبقات الأسلوب إلى ثلاث طبقات: (الأسلوب البسيط، والأسلوب المتوسط، والأسلوب السامي) وحددوا لكل طبقة من هذه الطبقات ما يناسبها من حيث الموضوعات والمفردات بل حددوا لكل طبقة كتابا أدبيا معينا يصلح أن يكون نموذجا مثاليا لها وصورة حية لمتطلباتها، وتمثل ذلك في إنتاج الشاعر الروماني "فرجيل "الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، حيث وجد في إنتاجه ثلاثة دواوين شعرية تصلح لأن تكون نماذج لطبقات الأسلوب الثلاث:

- **قصائد ريفية** : وهذا الديوان كتبه عن حياة الفلاحين وقد عد نموذج للأسلوب البسيط .
- **قصائد زراعية** : وهو ديوان يحث الرومان للتمسك بأرضهم وقد عد نموذجا للأسلوب المتوسط.
- **الإنياذة** : وهي ملحمة رومانية، وقد عدت من الأسلوب السامي .

وعلى هذا الأساس شاع عند البلاغيين قديما ما يسمى بدائرة فرجيل في الأسلوب، وفي هذا الإطار ترسم الحدود الفاصلة، حيث إذا اتفق على أن كلمة الماشية تتناسب مع طبقة الفلاحين وهذه الطبقة يلائمها الأسلوب البسيط، فإنه لا ينبغى أن تنطلق هذه الكلمة إلى الأسلوب المتوسط

[1] أحمد درويش ، الأسلوب والأسلوبية،مجلة فصول، المجلد الخامس العدد الأول/ أكتوبر،ديسمبر 1984 م، ص 61

الذي يلائم الصناع والتجار لا إلى الأسلوب العالي الذي يلائم الأمراء والمفكرين[1] ، ونظرا لشدة الإلتزام بالقواعد المعيارية، فإن فكرة طبقية الأسلوب ظلت تشق طريقها حتى القرون القليلة الماضية حيث بدأت تتولد حركات تجديدية، وكانت الهزة القوية لمبدأ طبقية الأسلوب ولبعض قواعده المعيارية على يد جورج بوفون 1788 في عمله المشهور (مقال في الأسلوب) الذي أدان فيه بشدة فكرة أن الأسلوب هو الطبقة لينتهي بذلك (إلى أن الأسلوب هو الرجل) وهذا التعريف هو الذي تأثر به البحث الأسلوبي كثيرا بعد تطوره فيما بعد "، ومن الملاحظ أن المصطلح الذي كان يستعمل في حقل الدراسات البلاغية منذ القرون الوسطى هو مصطلح (الأسلوب) ولم يظهر المصطلح الثاني إلا في بدايات القرن العشرين، مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علما يدرس لذاته [2]. أما في العصر الحديث فقد أصبح مصطلح الأسلوبية علما قائما بذاته مرتبطا بالدراسات اللغوية التي قام بها دي سوسير مؤسس علم اللغة الحديث، وفتح المجال أمام أحد تلاميذه ليؤسس هذا المنهج وهو شارل بالي 1865 م/ 1947 م، فوضع علم الأسلوبية كجزء من المدرسة الألسنية وأصبحت هي الأداة الجامعة بين علم اللغة والأدب، وبذلك فقد ارتبطت نشأتها من الناحية التاريخية ارتباطا واضحا بنشأة علوم اللغة الحديثة، ثم إن الأسلوبية كادت أن تتلاشى لأن الذين تبنوا وصايا بالي في التحليل الأسلوبي سرعان ما نبذوا العلمانية الإنسانية، ووظفوا العمل الأسلوبي بشحنات التيار الوضعي فقتلوا وليد بالي في مهده ومن أبرز هؤلاء في المدرسة الفرنسية " ج.ماروزو "، ولكن الحياة عادت إلى الأسلوبية بعد عام

[1] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص 17
[2] أحمد درويش ، الأسلوب والأسلوبية،مجلة فصول، ص 61

1960 م حيث انعقدت ندوة عالمية بجامعة آنديانا بأمريكا عن (الأسلوب) ألقى فيها "ر.جاكوبسون " محاضرته حول الألسنية والإنشائية فبشر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين الألسنية والأدب [1].

المطلب الثالث : العلاقة بين الأسلوب والأسلوبية .

أ- الأسلوب :

1- دخل مصطلح الأسلوب القواميس الفرنسية والإنجليزية في القرن 15 م.

2-الأسلوب هو النظام والقواعد العامة كأسلوب المعيشة وغيرها.

3- الأسلوب هو النمط المحدد لأي تعبير لغوي عند فرد معين .

ب – الأسلوبية :

1- دخل مصطلح الأسلوبية القواميس الفرنسية. والإنجليزية في أوائل القرن 19 م [2].

2- الأسلوبية هي وصف وتقييم علمي للتعبير الأدبي [3] .

3- الأسلوبية طريقة نوعية لدراسة اللغة عند الفرد ، عندما تظهر الوقائع التعبيرية بقيمها العاطفية [4].

المبحث الثاني : الإتجاهات الأسلوبية .

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية ، ص 23
[2] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص 16
[3] المرجع السابق ، ص 18
[4] سليمان العطار، الأسلوبية نشأة وتاريخ، مجلة فصول، المجلد الأول ، العدد الثانى، 1981 م، ص 133

المطلب الأول : الأسلوبية التعبيرية .

ترأس هذا الاتجاه العالم السويسرى شارل بالي مؤسس علم الأسلوب تلميذ" دي سوسير"، وخليفته على كرسي علم اللغة في جنيف حيث نشر فى سنة 1902 م مقال في الأسلوب الفرنسي، ثم أتبعه بعدة دراسات أخرى مطولة نظرية وتطبيقية، أسس بها علم أسلوب التعبير حيث يقول : (هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواه العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية) [1] ، ومن هذا التعريف نلاحظ أن بالي يركز على الطابع العاطفي للغة، وارتباطه بفكرتي القيمة والتوصيل، إذ أن اللغة تتكون من نظام من أدوات التعبير، التي تستخرج الجانب الفكري من كياننا، كما أن اللغة لا تعبر عن أفكارنا فحسب، بل تعبر أساسا عن عواطفنا، وعندما تظهر هذه الوقائع التعبيرية فإن البحث الأسلوبي هو الكفيل بدراسة ملامحها [2] ، وهذا الذي صرح به بالي في غير موضع، إذ أنك تجده.

يقول : (إن مهمة علم الأسلوب الرئيسية في تقديري تتمثل في البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معينة حركات فكر وشعور المتحدثين باللغة، ودراسة التأثيرات العفوية الناجمة عن هذه الأنماط لدى السامعين والقراء)، وعلى هذا فإن علم الأسلوب لا يتدخل إلا عندما يمس التعبير وسطا اجتماعيا، أو شكلا معينا للحياة، ومن ناحية أخرى فإن ما يدرسه علم الأسلوب من الوجهة التعبيرية، إنما هو الإجراءات أو الوسائل التي تؤدي إلى إنتاج اللغة العاطفية الشعورية، فإذا عمدت هذه الدراسة إلى إعادة التكوين العضوي للغة في بنيتها و هيكلها على أساس مقارنتها

[1] بيرجيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر العياشى، الطبعة الثانية، مركز الإنماء الحضارى للدراسات، 1994 م، ص 49.
[2] عطار سليمان ، الأسلوبية نشأة وتاريخ، مجلة فصول، ص 133 .

بغيرها، ويطلق عليها بالي اسم علم الأسلوب المقارن الخارجي، أما إذا تناولت العلاقة بين الكلمة والفكر لدى المتكلم والسامع، وعالجت علاقة اللغة بالحياة في طابعها العاطفي الدائم، فهي علم الأسلوب الداخلي [1] .

أما مستويات الدراسة الأسلوبية للخصائص التعبيرية فهي :

1 – اللهجة : من المعلوم أن اللهجات تتفرق بين الناس من ناحية، وبين الطبقات من ناحية أخرى، وقد يستخدم الإنسان في حياته عدة لهجات طبقا للظروف التي تحيط به، ويمكن التمييز بين ثلاثة مستويات من اللهجات :

أ – منخفضة : وهي لهجة البيت والمقهى والشارع .

ب – متوسطة : وهي لهجة المهنة والمكتب والعلاقات الاجتماعية .

ج – رفيعة : وهي لهجة المناسبات الخاصة ، كالخطب ... .

فالإنسان يستعمل المستويات الثلاثة حسب المواقف التي تقتضيها الحاجة .

2– الطبقات الاجتماعية : فلكل طبقة مفرداتها وتراكيبها كما أن كل طبقة تميل إلى الإحتفاظ بأسلوها مثل رجال الدين والقضاء وغيرهم .

3 – العصور والأمكنة : لاشك أن لكل عصر مفرداته و مصطلحاته المتداولة، وكذلك بالنسبة للأقاليم، فكل إقليم يحتفظ بلغته المحددة.

4– الأعمار والأجناس : فللأطفال استخداماتهم ، وكذلك بالنسبة للنساء والرجال، وقد دلت الإحصاءات على أنه في حالة اتفاق السن والثقافة يلاحظ على مفردات الفتيات أكثر انحصارا

[1] صلاح فضل ، علم الاسلوب ، ص 22

وأشد تحديدا من مفردات الفتيان، فاللغة ترتبط بالعمر والمزاج والجنس [1].

- خصائص الأسلوبية التعبيرية :

1- أسلوبية التعبير عبارة عن دراسة علاقات الشكل مع التفكير .

2- أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة، أو عن الحدث اللساني .

3- أسلوبية التعبير أسلوبية للأثر، إذ أنها تتعلق بعلم الدلالة، أو دراسة المعنى.

4- علم أسلوب التعبير يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي أي أنه وصفي بحت[2].

أثر الأسلوبية التعبيرية على الدراسات الأسلوبية :

1- توسيع مجال البحث عن القيمة الأسلوبية بعدم اقتصارها على الصور البلاغية القديمة.

2- توسيع دائرة البحث في المستويات اللغوية، و الإهتمام باللغة المنطوقة من الناحية الأسلوبية.

3- الإعتماد على المنهج الوصفي العلمي في مجال الدراسات النظرية.

عيوب الأسلوبية التعبيرية :

1 - التركيز على المحتوى العاطفي في الدراسة، يعني صرف الأسلوب في كثير من الأحيان عن القيمة الجمالية.

2 - الإهتمام بالتنظير، شغله عن التطبيق على أعمال معاصرة .

3- الإهتمام باللغة المنطوقة، ابتعد به عن اللغة المكتوبة [3].

المطب الثاني : الأسلوبية الأدبية .

[1] صلاح فضل ، علم الأسلوب، ص 24
[2] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، 2002 م ، ص 42
[3] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص 32

يتزعم هذه المدرسة كارل فوسلير الذي تأثر بكتاب الفيلسوف الإيطالي كروتشه (الجمال كعلم للتعبير وعلم اللغة العام) والذي يلفت فيه علماء اللغة إلى أننا كلما قمنا بتحليل التعبير وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة جمالية، إذ أن اللغة في نفسها تعبير خالص، ومن ثم فهي علم جمال وهذا التصور هو تصور أسلوبي [1] ، ولذلك نجد أنه لما ألف كتابه عن الشعر، يرى أن اللغة والشعر متطابقان ، ذلك أن اللغة ما هي إلا تعبير عن الخيال، وهذا كفيل بأن يجعلها علم للجمال، ولا يمكن الحكم على التعبيرات اللغوية إلا بوصفها تعبيرا شعريا [2] ، وقد كان لهذا الفكر التأثير البالغ على كارل فوسلير، حيث كتب لكروتشه يعده بتقديم تحليل جمالي خالص، يبحث فيه عن العلاقة بين الإيقاع والأسلوب والقافية ، وكان بوسعه أن يعثر على نفس الفكرة في كتبه عن علم الجمال ومن هنا ثبت عند فوسلير فكرة مفادها أن علم الأسلوب يمثل المجال اللغوي كإبداع أما علم اللغة فإنه يمثل المجال اللغوي كتطور وتاريخ، وكان هذا مدخل فوسلير لإضافته الرئيسية لعلم الأسلوب على أساس تصور الأسلوب كمصب لجميع وسائل التعبير الجمالية [3]، ومن ناحية أخرى فإن فوسلير يرى أن للغة بعدا آخر، فاللغة أيضا أداة لتحقيق الحاجات العملية لتبادل الأفكار، ومن هذا المنظور تعتبر اللغة إبداعا اجتماعيا بدلا من أن تكون إبداعا فرديا، كما أنها إبداع عملي لا مجرد تنظير إذ إنها خلق مكيف للحاجات، وعلى هذا فإن الذي يتطور هو تقنيات التعبير وبالتالي

[1] صلاح فضل ، علم الأسلوب، ص 44
[2] عطار سليمان ، الأسلوبية نشأة وتاريخ، مجلة فصول، ص 134
[3] مرجع سابق ص 47

تصبح الدراسة اللغوية بوصفها تطورا يتفق فيها المنحى الجمالي و التاريخي [1] ، وعلى هذا يفسر قوله : (لكي ندرس التاريخ الأدبي لعصر ما، فإنه ينبغي على الأقل الإهتمام بالتحليل اللغوي بنفس القدر الذي يهتم فيه بتحليل الإتجاهات السياسية و الإجتماعية والدينية لبيئة النص) [2].

لكن الذي نما بهذا الاتجاه هو العالم " النمساوي ليوسبيتزر "، وقد كتب مؤلفا مهما عن علم اللغة والتاريخ الأدبي، وفي مقدمته عرض المنهج الذي اتبعه في دراساته، و الذي يتلخص في النقاط التالية :

1- المنهج ينبع من الإنتاج الأدبي، وليس من مبادئ خارجة عنه، وعلى هذا يقول : (أريد أن أكرر أنه على الأسلوبية أن تأخذ العمل الفني الواقعي نقطة انطلاق ،وليس أن تأخذ بعض وجهات النظر الخارجة عنه) .

2- كل عمل يشكل وحدة كاملة، وفي المركز نرى فكر مبدعه ،الذي يشكل مبدأ التلاحم الداخلي وهذا ما يسميه الجذر الروحي .

3- لابد أن تقودنا الجزئيات إلى محور العمل، وينبغي أن ترصد هذه الأجزاء بعناية حتى نتوصل من خلالها إلى مفتاح العمل .

4- اختراق العمل الأدبي يكون عن طريق الحدس الناتج عن الموهبة والتجربة، وعن طريقه يمكن أن نشعر بأننا نسير على الطريق الصحيح أو لا.

[1] عطار سليمان الأسلوبية نشأة وتاريخ، مجلة فصول، ص 135.
[2] أحمد درويش ، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول ،ص 67 .

5- ينبغي أن تكون نقطة البدأ في الدراسة الأسلوبية لغوية، غير أنه يمكن أن تكون من سمات أخرى (إن دماء الخلق الشعري واحدة لكننا يمكن أن نتناولها بدءا من المنابع اللغوية أو الأفكار أو من العقدة أو التشكيل) ، ومن خلال هذه النقطة وضع سبيتزر طريقا بين اللغة وتاريخ الأدب.

6- الملامح الخاصة للعمل الفني هي وسيلة للكلام الخاص و الإبتعاد عن الكلام العام [1] .

لقد كان لهذا المنهج الذي وضعه سبيتزر أثر كبير في إثراء النقد الأدبي وتخليصه من بعض الآثار السلبية للإتجاه الوضعي الذي كان يمثله لانسون، وارتكزت في النقد الأدبي مبادئ لم تكن شائعة منها:

أ – ينبغي على النقد أن يكون داخليا، وأن يأخذ نقطة ارتكازه من العمل الأدبي.

ب – جوهر النص يوجد في روح مؤلفه، وليس في الظروف المادية الخارجية.

ج – على العمل الأدبي أن يمدنا بمعاييره الخاصة لتحليله .

د – إن اللغة تعكس شخصية المؤلف، وتظل غير منفصلة عن بقية الوسائل الأخرى التي يمتلكها[2].

المطلب الثالث : الأسلوبية البنيوية .

هي أكثر المذاهب الأسلوبية شيوعا الآن، وهي امتدادا متطورا لمذاهب "بالي " في الأسلوبية الوصفية .ويرى أصحاب هذا الاتجاه (ريفاتير ، جاكبسون) أن اللغة نظام أي مجموعة من الإشارات تكمن قيمتها في العلاقات المتبادلة فيما بينها فضمن البنى تتعدد وظيفتها [3].

[1] بيرجيرو الأسلوبية ، ترجمة منذر العياشى ، ص 80 .
[2] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص 38
[3] بيرجيرو الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياش ، ص 62 .

وعلى هذا الأساس لا يمكن لأي عنصر من العناصر الانفصال عن بقية العناصر الأخرى وذلك في إطار بنية لغوية متكاملة تحكمها علاقات مختلفة تعطي القيمة الأسلوبية داخل النظام[1].

ركز جاكبسون في تحليله للثنائية (رمز ، رسالة) على الجزء منهما ، دون أن يهمل الأول لأنه يعتقد أن (الرسالة) هي التجسيد الفعلي للمزج بين أطراف ، هذه الثنائية وهو مزج عبر عنه حين سمى إحدى دراساته حول هذه القضية (قواعد الشعر وشعر القواعد) وهو يعني بقواعد الشعر دراسة التعبيرية الشعرية .

- ويعني بشعر القواعد دراسة الفعالية الناتجة عن وضع هذه الوسائل موضع التطبيق وهذه الوسائل التي يتم بها التواصل تختلف تبع بعوامل كثيرة ولكن تبقى لها بعض الثوابت يسميها (المواصلات أو متغيرات السرعة) ومن بينها هذا التقسيم الثلاثي لضمائر حيث اعتمد تطبيق : ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب وضمائر الغائب وقابله مع التقسيم الثلاثي لوظائف اللغة ومثله في الوظيفة التعبيرية ، الوظيفة التأثيرية ، الوظيفة الذهنية وقال أنه يلتقي مع التقسيم الثلاثي في العمل الأدبي ويتمثل في : – المؤلف (أنا) – القارئ (أنت) الشخصيات (هو) [2].

[1] بشير تاوريت ،
[2] أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ص 34- 35.

المطلب الرابع : الأسلوبية الإحصائية .

تبرز الأسلوبية الإحصائية بوصفها اتجاها تحليليا ،لا يزعم لنفسه الاستقلال بل يقدم نفسه كمساعد للاتجاهات الأخرى بغية الكشف عن الأسلوب ويرفع هذا الاتجاه الموضوعية شعارا له ، والدقة الرياضة مبتغى من مبتغياته [1]، فيعتمد إلى تتبع معدلات تكرار العناصر الأسلوبية ويحاول أن يبين دور تكرار هذه العناصر في تشكيل الأسلوب .

ويرتكز هذا الاتجاه على تصور افتراضي ، ويرى أن الأسلوب يحوي عدد من العناصر اللغوية، وأن هذه العناصر قابلة لرصد والإحصاء [2] ، وأن قياس هذه العناصر قد يساعد على تقديم مسار موضوعي تقاس بناءا عليه الأساليب انطلاقا من مكوناتها ، فالنص الأدبي عند المؤلف ما أو فن معين يمتاز باستخدام سمات لغوية معينة منها استخدام وحدات معجمية معينة ، وزيادة أو النقصان النسبيان في استخدام معين أو نوع من الكلمات (صفة، حرف، أفعال، ظروف....)، طول الجملة أو قصرها ، نوع الجملة (اسمية ، فعلية ..) وجميع هذه السمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من تكرار مع ارتباطها بسياقات معينة على نحو ما ،تصبح خصائص أسلوبية تظهر في النصوص بنسب وكثافة وتوزيعات مختلفة[3] .

ويهتم كذلك هذا الاتجاه بقياس كثافة الخصائص الأسلوبية في النصوص والدلالة عليها (كثافة)، وتقاس بحساب عدد مرات التكرار الخاص بالأسلوبية في النص وقسمتها على طول النص المعبر عنه بالكلمات أو مقاطع أو الجمل ..... .

[1] محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية ص 139 .
[2] سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص 18- 19 .
[3] المرجع السابق، ص 43 .

ومن كل هذا نستنتج أن غاية الاتجاه التشخيص للنزاعات المنتشرة في النص أو عند الكاتب اعتمادا على القياس الكمي للعناصر اللغوية وتبرز أهمية القياس الإحصائي في عملية الموازنة بين النصوص بالاعتماد على التصور للأسلوب في نص ما، حسب العلاقة الموجودة بين معدلات التكرار للعناصر اللغوية المتعددة، مع معدلات تكرار العناصر نفسها فهي متصلة بالسياق [1]. وبهذا نصل إلى أن الموازنة بين النصوص تقع على نصوص في خط مضموني واحد .

ولا تكون الموازنة بفصل نص عن الأخر ، بل الهدف من الموازنة إقامة التقابل الذي يوضح خصائص نص ما ينفرد عن نص أخر مشترك معه في السياق نفسه ، وتقاس نسبة عادة بإحصاء عدد مرات تكرار إحدى الخصائص الأسلوبية مقسومة على عدد مرات تكرار خاصة أخرى [2] .

والهدف من هذه العملية الوصول للنزاعات المركزية التي تحكم النص الأدبي ، وفي هذا السياق ظهرت نظرية العالم اللغوي الألماني " بوزيمان " في إطار البحوث(السيكولوجية) وهي تعني بالدراسة الشخصية في إطار علم النفس اللغوي[3]، واستخدمت هذه النظرية لقياس مدة انفعالية أو عقلانية اللغة المستخدمة في النص[4]. وبهذا ارتبطت بالنص الأدبي وتسعى بتشخيص الأسلوب الأدبي واعتمدت فيها على الافتراض ويتحدد بإمكانية تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير وهما : التعبير بالحدث و التعبير بالوصف [5].

[1] صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ص 179 .
[2] سعد مصلوح دراسة لغوية إحصائية ص 45.
[3] المرجع السابق ص 61.
[4] المرجع السابق ص 65.
[5] مازن الوعر ، الاتجاهات اللسانية ص 159 – 160 .

أ – ويتعلق التعبير بالحدث بالأفعال التي تعبر عن الأحداث .

ب – ويتعلق التعبير بالوصف بالصفات التي تصف شيئا ما .

تحسب هذه النسبة بإحصاء عدد الأفعال مقسوما على عدد الصفات ثم إيجاد حاصل القسمة وتأخذ المعادلة الشكل التالي: نسبة الفعل إلى الصفة = عدد الأفعال / عدد الصفات.

وتزيد هذه القيمة وتنقص تبعا وزيادة لتقص الأفعال وتستخدم هذه القيمة باعتبارها دالا على أدبية الأسلوب فلكما زادت كان طابع اللغة اقرب إلى الأسلوب الأدبي وكلما نقص كان طابع اللغة اقرب إلى الأسلوب العلمي [1]. وقد توصل " بوزيمان " في الأخير إلى عدد من التقريرات يمكن تصورها بوصفها فرضيات عامة تتحكم في تطبيق هذه المعادلة . وطبق " سعد مصلوح " المعادلة على عدد من الفنون النثرية مثل : السيرة ، الرواية ، المقال الصحفي ، المسرحية ، وتوصيل إلى تقرير عدد من النتائج من خلال القيم الرقمية المتحققة من تطبيق المعادلة [2].

والذي نراه أن في التطبيق " سعد مصلوح " دخوله إلى النص بفرضيات " بوزيمان " المقررة مسبقا على نحو غدت فيه عملية التطبيق الإحصائي محاولة لإثبات تلك الفرضيات التي قررها " بوزيمان " وهذا الأمر ينقص من الموضوعية والدقة التي يسعى إليهما المنهج الإحصائي ذلك أن تطبيق هذه المحاولة – كما لمحناه عند " سعد مصلوح " – لا يعدو إسقاطات لتلك الفرضيات المقررة مسبقا وما يتلقي معها من تلك النصوص فهذه الفرضيات هي أشبه ما تكون بمعايير انطلق منها المحلل وطبقها على النص العام – والاختيار العشوائي للعينات الخاضعة للتطبيق لا

[1] سعد مصلوح الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص 60 .
[2] المرجع السابق ص 75 - 76 .

يمكننا إطلاق أحكام عامة تستقيم مع كامل العمل الأدبي . فأن الأحكام المتعلقة لا تنطبق بالضرورة على مجال النص المدروس مثال : (اختيار "سعد مصلوح "عند دراسته أسلوب طه حسين خمس جمل من كل فصل من فصول الأيام – وكذلك عند دراسته للعقاد فهذا الاختيار ربما لا يكون دالا على أسلوب الفصل كاملا) [1].

يرى " سعد مصلوح" أن نظرية " بوزيمان " انتهت لحظة إقرارها لتلك الفرضيات المتعلقة بقيمة نسبة الفعل إلى الصفة (ن . ف . ص) ذلك أن" بوزيمان " قرر سلفا تلك القيمة على نحو قرن فيه أشكال الخطاب العامة واحتوائها على أحكام كمية تتعلق بارتفاع قيمة (ن . ف . ص) أو انخفاضها فما الجدوى من قياس الأسلوب نثر الأدبي .

المبحث الثالث : الأسلوبية وعلاقتها بالعلوم الأخرى

المطلب الأول : الأسلوبية وعلم اللغة

تتحدد الأسلوبية بكونها جزءا من علم اللغة[2] ، وتبدو علاقة الأسلوبية بعلم اللغة شبيهة بعلاقة الجزء بالكل ويشكل علم اللغة الإطار العامة الذي تنظم فيه الأسلوبية فهو المهد الذي ولدت فيه بما قدمه من تصورات للغة ، وما سنه من منهج علمي يعتمد على الملاحظة والتجريب والاستقراء في التعامل معها [3]، ويتصل تحديد الأسلوبية مما سبق بالإدراك التام بتمثيل الأسلوبية على أنها جزءا من النظرية اللغوية [4]،ومن الطبيعي أن تستمد الأسلوبية أسسها المعرفية والمنهجية من النظرية العلمية التي تنتمي إليها وهذا ما يدفع إلى القول أن علاقة الأسلوبية بعلم اللغة علاقة

[1] المرجع السابق ص 71 – 72 .
[2] ستيفن ألمان ،اتجاهات جديدة في علم الأسلوب ، اتجاهات البحث الأسلوبي ، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة ، ط1 ، 1985 ص 96 .
[3] مازن الوعر ، الاتجاهات اللسانية المعصرة ودورها في دراسة اللغة ، مج 22 ، عدد 2 ، 3 ،سنة 1990 ، ص 138 .
[4] برند شبلنر ، علم اللغة والدراسة الأدبية ، ترجمة محمود جاد ،دار فنية للنشر ، ط 1 ، 1987 ص 30 .

منشأ ومنبت ويرى" برند شبلنر " أن الأسلوبية فرع من علم اللغة النظري ، لها مكانة بجانب النظرية النحوية وتقابل علم اللغة التطبيقي ، تقوم عملية البحث الأسلوبي حيث تعتمد أسس النظرية الأسلوبية وتأخذ عنها منهج الدراسة للنصوص[1] ، وما حصل من تطور لعم اللغة انعكس على الأسلوبية عامة أكان في المنهج أو المفاهيم فقد كان الاهتمام في علم اللغة منصب على الدراسة التاريخية المقارنة للغة ، إلا أن هذا الاهتمام سرعان ما تحول مع بدايات القرن 20 تحول من الجانب التاريخي للغة إلى اللغة نفسها واكتشاف ما تنطوي عليه من قوانين وضوابط وأنماط وتراكيب [2] .

وقد صاحب مجال الدراسة تغير في المنهج أيضا بدلا من استعمال اللغة السابقة وحركتها وسكناتها وتتبع ظواهرها من أول استخدام للظاهرة وينتهي إلى أخر مطاف لها ، تركز البحث على فترة محدودة بوصفها وكيفية تعايش الظاهرة مع غيرها .

ووصف آليات استخدامها (اللغة) وقد أطلق على هذا المنهج في البحث" المنهج الوصفي " وارتبط باسم العالم اللغوي السويسري " فرديناند دي سوسير " وعده الكثير، من الدارسين مؤسس "علم اللغة الحديث " بفضل ما قدمه لعلم اللغة من تصورات للغة ومنهج دراستها [3].

وتكمن النقطة الجوهرية فيما قدمه من فرق بين " علم اللغة التاريخي " و " علم اللغة التزامني" وهو ما انعكس على النظر إلى اللغة بمستوياتها كافة [4]، وما يهمنا هنا أن نركز على الأثر الذي

[1] المرجع السابق ص 35 .
[2] محمد خير الحلواني ، النقد الأدبي ونظرية اللغوية ، المعرفة عند 230 ، 1981 ص 32 .
[3] إسماعيل عمايرة ، المستشرقون ومناهجهم اللغوية ، دار الملاحي للنشر والتوزيع اربد، 1988 ص 49 – 79 .
[4] دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة يونيل يوسف عزيز طبعة 2 1988 ص 115 .

أحدثته أفكار " دي سوسير " على الأسلوبية وهو ما نميزه بين اللغة والكلام حيث أكد هذا الأخير أن اللغة محدد من طبيعة متجانسة ولا قيمة لي مكوناتها إلا بالعلاقة القائمة فيما بينها. [1]

وأكد (أن اللغة ليست غرض ذا طبيعة محسوسة – الترابطات الموجودة بين أبناء المجموعة الواحدة حقائق تتموضع في الدماغ – وتنبه إلى اجتماعية اللغة فهي لا تتحقق إلا بفضل نوع من تعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة – وعليه فاللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ من الجماعة فهي جزء جوهري من اللسان وهي في وقت واحد نتاج اجتماعي لملكة اللسان و تواضعات ملحة ولازمة يتبناها الجسم الاجتماعي لتسهيل الممارسة لهذه الملكة لدى الأفراد) [2] .

يريد " دي سوسير " : (إظهار اللغة واقعا وجوديا مستقلا حيث يدرسها بالشكل المستقل عن أي واقع آخر فهي كنز يدخره الأفراد المنتمون لمجموعة واحدة عبر ممارسة الكلام وهذه المنظومة موجودة بقوة في كل دماغ وتحديدا في أدمغة مجموعة أفراد ، لا توجد كاملة عند الفرد بل لدى المجموعة ، ويحدد من خلال هذا أن الكلام بكونه عملا فرديا خاضع للإرادة والفعل). [3]

نستنتج أن علاقة اللغة بالكلام تأثر متبادل بينهما بوصف الكلام مطورا للغة ومؤثرا في تفسير بعض العادات الألسنية بوصف اللغة وسيلة للكلام فأنه يقرر أن العلاقة لا تمنع من تصورهما كيانين مستقلين الواحد عن الآخر [4] ، وبهذا وصل إلى واقعتين الأولى اجتماعية تمثلت في " اللغة الواقعية " الثانية حضورية تمثلت في " الكلام " .

– فالأولى تتحقق اجتماعيا بتميز أداء الأفراد جماعة .

[1] دي سوسير ، محاضرات في الألسنة العامة ص 27
[2] المرجع السابق ص 21 – 26
[3] دي سوسير ، محاضرات في الألسنية ص 25 – 26 .
[4] المرجع السابق ص 31- 32 .

– الثانية تتحقق من الأخذ من الأولى لشموليتها ومحدودية الثانية .

نصل للقول أن في اللغة ما في الكلام وزيادة ، ولكن ليس في الكلام من اللغة إلا بعضها إذن اللغة ظاهرة ألسنية مجردة توجد ضمنا في كل خطاب بشري ولا توجد هيكل ملموس بل ، يظهر الملموس في الكلام الذي هو الأداء الفعلي المحقق من استخدام الأفراد [1].

أجمع الدراسة أن التفرقة بين اللغة والكلام كانت البذرة الأولى التي مهدت لنشوء الأسلوبية [2] حيث يصعب إيجاد اثنين لهما الأداء اللغوي نفسه وهاذ الاستعمال يطابق النظام في صفاته الأصلية ويختلف في تفصيلاته من فرد إلى آخر ومن حالة إلى أخرى [3].

ويتبين من خلال هذا أن السمات التي تظهر في استعمالات الأفراد تشكل في جوهرها أسلوب الفرد ، وعليه تعددت الأساليب بتعدد الأفراد المستخدمين لنظام اللغوي. وبهذا الأسلوب هو استعمال فردي خاص الذي يعكس تلك السمات اللغوية التي تمثل الفرد في تعامله مع النظام اللغوي لأداء المواقف المختلفة [4].

ومن هذا السياق نصل إلى أن هذا تفريق بين اللغة والكلام (علم اللغة) ساعد على حصر محال اللغة إذا لا يمكن أن تتصل إلا بالطرق الثاني من ثنائية دي سوسير (اللغة والكلام) وهو الطرق الممثل للجانب العلمي الملموس وبهذا فإن الأسلوبية لا تملك إلا أن تكون وصفية بإعتبار تزامنية دي سوسير و لا تخرج عن جانب المحسوس (كلام) للأفراد .

[1] عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ص 67 .
[2] شكري عياد ، اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي ط 1 1988 ص 42 .
[3] شكري عياد ، مدخل الى علم الأسلوب دار العلوم للطباعة والنشر 1985 ص 28 .
[4] إزيل إميرن ، مناهج النقد الأدبي ، ترجمة أحمد طاهر مكي ، دار المعارف ط 2 1992 ص 185 .

فثنائية دي سوسير المتمثلة في (اللغة والكلام) اتخذت عدة تسميات بعد دي سوسير من قبل الألسنين وهذه قبل التسميات هي :

أ- اللغة والخطاب

ب- النظام والنص

ت- الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي

ث- النمط والرسالة

وارتبطت التسميات بعدد من الألسنين هم على التوالي المسميات السابقة :[1]

1) غوستاف غيوم

2) هيالمسلف

3) تشومسكي

4) ياكبسون

وشاعت ثنائية تشومسكي " الكفاءة اللغوية أداء لغوي " وهو نحالف لإرتباطها بالنظرية التحويلية الذي وضع أصولها هذا العالم اللغوي ، وهو يخالف تماما ثنائية دي سوسير حيث يرى دي سوسير أن الطرف الأول للثنائية (اللغة) ظاهرة اجتماعية تتكون من أفراد المجتمع فهي ذات بعد اجتماعي أما تشومسكي فيرى أن الكفاءة اللغوية بنية ذهنية لدى الذات المتكلمة فهي ذات بعد فردي. [2]

[1] عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ص144
[2] زكريا إبراهيم مشكلة البنية ، مكتبة مصر ص 72

لقد أصبح الإدراك الشائع للغة يتمثلها على أنها نظام نسبي مفتوح متعدد طبقا لحدوثه و إستعمالاتها في سياقات مختلفة وعليه فاللغة نظام نسيب مفتوح .[1]

والمقصود بهذه اللغات تلك المستويات المتعددة التي تبرز عند إستخدام مراعية الحال الذي تقتضيه عملية التخاطب ، فمخاطبة الصغير ليست كمخاطبة الكبير ، والحديث مع ولي الأمر ليس كالحديث مع الزميل حتى أن مناجاة الإنسان لربه في مقام الشكر ليست كما في مقام الشكوى فكل هذه السياقات تضعنا أمام تعدد المستويات اللغوية ترجع لاختلاف المواقف .[2]

تعدد المستويات اللغوية راجع لتصورات علم اللغة في دارسته للعلاقة بين النظام اللغوي وبين المجتمع الأمر الذي جعله يهتم بالكلام المنطوق ويقسم اللهجات واللغات ويصنف لكل فئة من الفئات لغة خاصة بها مثل لغة الأطباء – رجال القانون – الفلاحين والعمال وغيرها .[3]

لقد استثمرت الأسلوبية الحديثة جل التصورات النظرية التي جاء بها علم اللغة الحديث وأهمها الفريق بين اللغة والكلام و الآخرى المتعلقة بتعدد المستويات اللغوية حتى لا نكاد نجزم أن هذين التصورين هما بحق عمدة الأسلوبية الحديثة فالتصور الأول قدم مجال الدراسة وهو الكلام بوصفه أداء ذاتي ، والثاني قدم التصورات أو التفسيرات المتعلقة باختلاف الأقوال حسب تصور دي سوسير الذي قال أن اللغة ظاهرة مستقلة [4] .

[1] مازن الوعر دراسات لسانية تطبيقية ، دار طلاس للدراسات والترجمة ص 123-124
[2] شكري عياد مدخل إلى علم الأسلوب ص 33 .
[3] بيرجيرو الأسلوب والأسلوبية ترجمة منذر عياش مركز الأنماء القومي ص 36 .
[4] دي سوسير ، محاضرات في الألسنة ص25.

فقد أثر كثيرا هذا التصور على الأسلوبية وخاصة في دارسة العناصر اللغوية ، وحسب رأي هذا الأخير للغة فإن العناصر اللغوية ليس له دلالة ذاتية . [1]

وإنما تحدد دلالة هذه العناصر من خلال ما يقوم بينها من العلاقات ويحدد دي سوسير العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية بنوعين هما:العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية . [2]

- تتحدد العلاقة الرأسية بقيام العلاقات اللغوية من علاقات تعتمد على تداعي المعاني وتعتمد كذلك العلاقة بين الكلمة ونظريتها في الإشتقاق وبينها وبين ما تدخل فيه من علاقة تضاد أو ترادف .
- أما العلاقة الأفقية فتحدد بقيام العلاقات بين أجزاء الجملة .

مثل : علاقة الفاعلية بين الفعل والفاعل ، تعدية مباشرة لبعض الأفعال وتعدية بحرف جر وعلاقة المطبقة بين، الصفة والموصوف ... الخ .

ونمثل للعلاقات الرأسية بكلمة " مجاهد" فهذا الكلمة لها ارتباط بعلاقات من نظيراتها في المعنى عن التداعي تتحدد بالكلمات التالية :

جاهد ، جهاد ، مجاهدة ، كفاح ، .....وغيرها.

كما تدخل هذه الكلمة في علاقة ما غيرها في إطار الإشتقاق فتشترك مع : مكافح ، مقاتل فهي أسماء فاعلين ، أما علاقة الترادف فهي : محارب، مقاتل ، مناضل ، مكافح

أما علاقة التضاد فهي : متقاعد ، قاعد ...

[1] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، 1992 ص20.
[2] محاضرات في الألسنة ص34

إذا العلاقات الرأسية تشمل العنصر اللغوي وما يوازيه في المعنى و الإشتقاق ، وما يخالفه أيضا وهي علاقات ترابطية ، أما العلاقات الأفقية فنمثل لها بالصفة بالموصوف في العربية إذا يفرض نظام اللغة تطابقا تاما ً بينها في التذكير والتأنيث والتشبيه والتعريف والتنكير ويضبط التطابق بالعلاقة الأفقية .

المطلب الثاني : الأسلوبية والبلاغة .

يقتضي اشتراك الأسلوبية والبلاغة في الاهتمام ببحث اللغة قيام علاقة من نوع ما بينهما، فدراسة اللغة تمثل نقطة التقاء بين الدراسة الأسلوبية والدراسة البلاغية، وتحدد طبيعة العلاقة بينهما نفيا أو إ ثباتا وفق ما تقرره المعطيات المنهجية لكلا المبحثين (الأسلوبية والبلاغة) .

وفي هذا السياق تبرز تساؤلات مفصلية تحاول استكشاف طبيعة العلاقة بينهما . فهل يمكن اعتبار الأسلوبية بديلا موضوعيا للبلاغة ؟ هل يمكن أن تحل الأسلوبية بمناهجها وتصورتها محل البلاغة في التصدي للظواهر اللغوية ؟ هل يمكن أن تعد الأسلوبية امتدادا للبلاغة ؟ للإجابة على هذه التساؤلات لابد من الوقوف على المنطقات الأصولية لكلا المبحثين .

تشير الظروف التاريخية إلى أسبقية البحث البلاغي على البحث الأسلوبية ونرى تلك الأسبقية تتحقق حين نأخذ بعين الاعتبار ما استرقت عليه الأسلوبية من مفاهيم وما رسخت عليه من أصول . فنحن بهذا بصدد البحث عن تصور قديم سابق للبلاغة على أسلوبية الحديثة وهذا لنبرز إجابة عن السؤال الثالث تتعلق باعتبار البحث الأسلوبية الحديث امتداد للبحث البلاغي القديم ، ومفهوم الامتداد هذا ، يقضي النفي أيضا فإذا قررنا اعتبار البحث الأسلوبية امتدادا ، للبحث

البلاغي فإننا نسلبه ، الوجود الآتي ونتصوره بوصفه مرحلة تاريخية من مراحل الدراسة اللغوية وبهذا يلتقي هذا السؤال بالسؤالين السابقين في تقرير علاقة التنافر بين الأسلوبية والبلاغة وإمكانية اعتبارها البديل الموضوعي للبلاغة وإن كانت اللغة نقطة التقاء المبحثين البلاغي الأسلوبية فأن المنطلقات الأصولية تشير اختلافات جذرية تتعلق بمنهج تناول الظاهرة اللغوية وبالهدف منها على نحو يجعلنا نسلم يد القيادة إلى البحث الأسلوبية الحديث وأول منطلقات الأصولية بمعيارية البلاغة وشغفها في إرسال الأحكام التقيمية على الظواهر التي تعرض لها ، وهي تهدف إلى تعليم مادتها وبذلك فهي تقف على طرف يناقض البحث الأسلوبية الذي ينفي عن نفسه كل معيارية ، ويعزف عن إرسال الأحكام التقيمية " فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة بينما .تتحدد الأسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية [1].

البلاغة تهدف لخلق الإبداع وتحقيقه بما تقرره من وصايا تقييمية بيد أن الأسلوبية تسعى إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يقرر وجودها [2] ، ولهذا فإن الدراسة البلاغية قبلية تدخل إلى ظواهرها بأحكام مسبقة تسعى إلى البحث عن تحققها في النص المدروس فتحكم برداء الأنماط التي تخالف الأحكام المسبقة [3]. أما الأسلوبية فهي تبتعد عن هذه الظواهر المسبقة والقبلية ، فهي بعدية في دراستها وتتحدد أحكامها وتصوراتها بعد أن يكون التعامل مع النص قد تم بالفعل وبذلك فان النص هو المسؤول عن الحكم على نفسه وليس أي حكم قبلي آخر .

[1] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ص 48 .
[2] المرجع السابق ص
[3] عبد المجيد زراقط ، البلاغة العربية في أساس نشأتها النظرية في الكشف والإيصال ، مجلة الفكر العربي عدد 46 سنة 1987 ص 222 .

تنظر البلاغة للنص في الفصل بين دوال النص ومدلولاته فقد كان التفريغ بينهما أساسيا [1] بيد أن الأسلوبية رفضت هذا الفصل تماما ونظرت إلى النص بوصفه وحدة عضوية لا تتجزأ وبالنظر إلى الخصائص اللغوية نجدها نقاط فصل بين المبحثين البلاغي والأسلوبي على نحو ينبئ بعمومية الأول في بحثه عن أحكامه وخصوصية الثاني وسعيه إلى البحث عما يتميز به الفرد من خصائص فقد كان الاتجاه البلاغي نحو مثال متعال فوق الاستعمال الشائع دورا هاما في عدم التفاتها إلى الفروق اللغوية الناشئة عن استخدامات الأفراد ولهذا لم تلتفت إلى الخصائص الأسلوبية الفردية. (فالفروق في البلاغة لا تعكس فروقا بين الشخصيات أول البيئات الاجتماعية، بل فروقا في المستوى الفني أي في درجة القرب من ذالك الأثر المثالي ومن هذه الجهة تكون درجات الاستحسان) [2]، بحث نجد احتفال البحث الأسلوبية بالخصائص الفردية وقيامه على إظهار تلك الخصائص فهو في أساس وجوده قائم على اعتبار أن كل فرد إنما يميل إلى استخدام خاصة اللغة وبهذا فان البحث يتجه إلى معرفة خصائص هذا الاستخدام .

لا نسعى من إيراد هذه الفرو قات بين الأسلوبية والبلاغة أن نضع البلاغة إزاء علم الأسلوب بما وصل إليه من تطورات حديثة فنحن إن قمنا بذالك نكون قد تجاوزنا الظرف التاريخي والمعطيات الثقافية التي نشأت في ظلها البلاغة وإنما غايتنا من هذه الفروق تبين قيام المبحثين على تضاد منهجي يصعب معه الجمع بينهما في آن نفسه وهذا التضاد منهجي لا يدفعنا نحو الحكم بحتمية الصراع بين الطرفين على نحو ينفي كليهما ويولد طرفا أخر بل هو تضاد جدليا قائما على التأثير

[1] محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ص 19 .
[2] شكري عياد ، الأسلوبية و البلاغة ، مقال ضمن اتجاهات البحث الأسلوبي ص 223 .

من طرف سابق على أخر لاحق لهو . وهذا قد يسلمنا إلى مبدأ الامتداد الذي أشرنا إليه سابقا ، لكن الامتداد الذي تراه ليس قائما على نفي أخر ، بل على الإيمان بدوره والتسليم بالغاية التي قام من أجلها ونحن إن قبلنا هذا التصور نكون قد حافظنا للبلاغة حقها التاريخي في الوجود بوصفها مرحلة تاريخية لها غايتها وفي الوقت نفسه نكون قد أمنا بالبحث الأسلوبي بوصفه مبحثا له تصوراته المنهجية المخالفة للشريك له دون أن يتبعه بل يأخذ منه ما يناسبها في بحثه وبهذا فان تصوراتنا لطبيعة العلاقة بينهما ليست قائمة على النفي بل على صيغة الامتداد فالبحث الأسلوبي وريثا شرعيا للبلاغة وهو وريث بار يحرص على إبقاء عرى التوافق مع أسلافه دون أن يعيش في زمانهم ولكن يقر بفضلهم عليه [1] . ويرجع هذا المبدأ الذي نتكلم فيه على تراكمية العلوم وهي تراكمية قائمة على مبدأ التطور القائم على إيجاد وسائل منهجية لم تكن متاحة في السابق وتستغل هذا الوسائل على نحو ينبأ بنوع من الاستقلال عن سابق منهجي ولكن دون التنكر له ويؤكد " محمد الهادي الطرابلسي "

هذا الرأي إذ يرى : ((أن وصول علم البلاغة بصورته المثمرة كان عاملا يفسر ظهور الأسلوبية اليوم بشكلها المعروف ويفسر أيضا آليات قيام الألسنية الحديثة إطارا علميا لغويا مستحكما))[2] . ويمكن للبحث الأسلوبي الحديث أن يفيد من النتائج التي توصلت البلاغة إليها وخاصة في نظامها المتعلق بالمحسنات البديعية فهذه الأخيرة لها أهمية كبيرة فالنظرية الأسلوبية إذ فهمت على أنها نظام جمالي واستدلالي يوضع تحت تصرف المؤلف ليعطي بها تأثيرا معينا [3].

[1] محمد عبد المطلب ،البلاغة و الأسلوبية ص 245 .
[2] محمد الهادي الطرابلسي ، مظاهر التفكير في الأسلوب عند العرب ضمن الأدب العربي ص 257 .
[3] برند شبلنر، علم اللغة والدراسة الأدبية ص 172 .

وجدير بالذكر أن البحث الأسلوبي لا يكتفي بإعادة رصد تلك المحسنات واكتشافها بل سيعمل على إظهار ما تقوم به من وظائف ضمن السياق العام للنص .

المطلب الثالث : الأسلوبية والنقد الأدبي

تبرز العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي ضمن إطار أوسع وتتجاوز العلاقة بينهما لتشمل العلاقة بين الألسنية والدراسة الأدبية ومبعث هذه العلاقة وجود منطقة مشتركة بين الألسنية والدراسة الأدبية وهي تحديد النص الأدبي على أنه الوحدة الأساسية في الدراسة [1] .

وتبرز اللغة قاطعا مشتركا بين طرفي هذه العلاقة على نحو تقوي فيه الصلة بين الظاهرة الأدبية وحقول الدراسة الألسنية ، فاللغة الألسنية موضوع العلم ذاته وهي للأدب المادة الخام.[2]

ومن الفرضيات المنجزة في هذا الشأن اعتبار الأسلوبية مرحلة وسطى بين الألسنية والنقد الأدبي ويختزل ذالك الإطار الواسع للعلاقة بين الألسنية والدراسة الأدبية لينحصر في إطار أضيق ليشمل العلاقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي لذا لابد أن ننظر إلى طبيعة العلاقة بينهما تنطلق من غائية كل من الأسلوبية والنقد الأدبي في تعاملهما مع النص . فهل تسعى الأسلوبية في تعاملها مع النص إلى تغطية جوانبه كافة ؟ وهل يتسنى للأسلوبية ذالك إن هي أرادت ؟ هل يستطيع النقد الأدبي أن يكتفي بالتحليلات الأسلوبية ويتوقف عندها ؟ ما جدوى التحليلات الأسلوبية للناقد الأدبي ؟ تنفي هذه التساؤلات في إطار من الاعتراف بالطرف الأخر والارتباط به حين نعيد تلك العلاقة التي أشرنا إليها من اعتبار أن الأسلوبية مرحلة وسطى بين علم اللغة والدراسة الأدبية

[1] برند شبلنر، علم اللغة والدراسة الأدبية ص 183 .
[2] عبد السالم المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ص 42 .

وبهذا فهي ترتبط باللغة والأدب على السواء وبسبب هذا الارتباط فإنها تعتمد على لغة النص بوصفها مدخلا لتحليل ظواهره ودراسة العلاقة التي تنتظم سياقاته وهي تقدم للناقد مدخل لغوي لكي يقيم نقده الموضوعي .

يبدو أن وجهة الأسلوبية اللغوية في المقام الأول وهي تتمثل في معالجتها للنص وهي تحدد طبيعة العلاقة بينها وبين النقد بدقة النقد ينظر إلى اللغة لوصفها عنصرا مكونا للأثر الأدبي فهي تقف مع عناصر أخرى مكونة للأدب وبهذا فهي ليست العنصر الوحيد الذي نسلم إليه النص الأدبي وهذا يجعلنا نرى نقاط الافتراق بين الأسلوبية والنقد الأدبي فالنقد يهمل القواعد اللغوية ويعبر عن النص الأدبي إلى تفسير موقف تعبيري محدد ، بينما تقف الأسلوبية على النقيض من ذالك فهي تنطلق من اللغة نظاما [1] .

إذا الاختلاف بين الأسلوبية النقد الأدبي في نقطة الانطلاق ولكنها ليس هادمة له أو وريثة ويسلمنا هذا التوجه اللغوي للأسلوبية إلى حقيقة هامة تتعلق بالواقع الموضوعي للأسلوبية وتتعلق هذه الحقيقة بعدم شمول الأسلوبية لكل أبعاد الظاهرة الأدبية فهي تمسك عن الحكم في شأن الأدب من حيث رسالته ، فهي قاصرة عن تخطي حواجز التحليل إلى تقيم الأثر الأدبي بالاحتكام إلى التاريخ بينما رسالة النقد كاملة في إماطة اللثام عن رسالة الأدب ففي النقد إذن بعض ما في الأسلوبية وزيادة وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه [2]. فالواقع الموضوعي للأسلوبية يعزلها عما

[1] أمبرن ، مناهج النقد الأدبي ص 186- 187 .
[2] عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ص 115 .

يحيط في النص من ظروف سياسية واجتماعية وتاريخية فهي ترى النص خالقا لجمالياته من خلال صياغاته وبهذا يفترق النص عن الأخر لا من خلال جودته أو رداءته بل من خلال نظامه اللغوي [1]. بينما النقد الأدبي يتجلى أبعاده في الظاهرة الأدبية كافة وبهذا فقد " اتجه النقد الأدبي اتجاهات جديدة إذ دعمت، الصلة بينه وبين العلوم الإنسانية خاصة علم الاجتماع وعلم النفس وظهرت به دراسات كثيرة تتجه إلى ما وصل إليه الدارسون في هذه العلوم من نظريات وقواعد وقوانين[2] " وهذا يظهر أن الأسلوبية والنقد الأدبي حقيقتان متغايرتان ، وإن التقتا في نقطة محددة فالأولى وجهتها لغوية والأخرى تدخل إلى النص من مداخل متعددة ، وثمة محاولات تسعى لتقرب من تلك الحقيقتين المتغايرتين فتأخذ صيغة توفيقية تسعى إلى تجسيد رؤية متكاملة للنص الأدبي وبهذا تأخذ العلاقة شك تزاوج بين الأسلوبية والنقد الأدبي ويستند في هذه العلاقة بينهما وهي جدلية قائمة على ما يمكن أن يقدمه كل طرف للأخر فكلاهما يستطيع أن يمد الأخر بخبرات متعددة استقاها من المجال خبرته ودراسته [3].

وبهذا الاعتبار فان ما تقدمه الأسلوبية من إمكانات الوصف المنطلقة من بنية النص تشكل أرضية للنقاد يستطيع من خلالها الجزم بالنواميس التي تحدد أدبية النص وصفته الإبداعية .[4]

المطلب الرابع : مستويات التحليل الأسلوبي

يعتمد التحليل الأسلوبي، البنية اللغوية للنص منطلق أساسيا في عمله ، وقد اشرنا سابقا إلى العلاقة الوطيدة بين علم اللغة والأسلوبية على نحو أفادت منه الأسلوبية من جملة التصورات التي

[1] محمد عبد المطلب ، البلاغة الأسلوبية 115.
[2] شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ص 41 .
[3] رجاء عيد ، مفهوم الأسلوبية ص 7-8 .
[4] حوار مع عبد السلام المسدي ، أفلام ص 39 .

جاء بها علم اللغة وبهذه العلاقة فقد تكون لعلم الأسلوب نفس المستويات التحليلية في علم اللغة ومن هنا فقد أقامت الأسلوبية تحليلاتها على المستويات الثلاثة المقررة في علم اللغة .

والجدير بالذكر أن فصل هذه المستويات التحليلية ضرورة تقتضيها غايات الدرس التحليلي ، وهو فصل ليس متحققا في الواقع الموضوعي للظاهرة اللغوية.

ويتعامل التحليل الأسلوبي هذه المستويات بوصفها تحقيقات فردية ، يساهم الكاتب في إحداثها والتأليف بينها على كيفية ما ، يعتمد التحليل الأسلوبي هذه المستويات فيدرس بنية اللغوية للنص من خلال الصوت مجردا، ويقوم بوصف وحدة النص التحليلية المنتظمة لتلك المستويات مجتمعة.

وبهذا يمكن وصف النص الأدبي على انه دالا تقوم فيه كل جملة بوظيفة كالكلمة المفردة " تماما" وتتجمع من وظائفه الجزئية كلية السياق العام [1] .

إذن التحليل الأسلوبية يتناول جزئيات النص كلها حتى قيل : ((إن المنهج الأسلوبي لا يترك حجرا دون أن يحركه بحثا عن الإشارات التعبيرية)) [2].

يسعى التحليل الأسلوبي إلى الوصول لجوهر النص بما فيه من سائل تعبيرية تتجاوز الجوانب السطحية ،ويكشف عن وضع الكلمات في انساق ، وكيفية انتظامها وانتظام الجمل والفقرات وانتظام كل ذالك في النص[3] .

[1] محمد عبد المطلب ، البالغة والأسلوبية ص 279 .
[2] أمرين ، مناهج النقد الأدبي ص 96 – 97 .
[3] ريتشار دز ، مبادئ النقد الأدبي ص 190 .

حصر اغلب الدراستين التحليل الأسلوبي ضمن المستويات اللغوية المألوفة ، فتنالوا بالتحليل المستوى الصوتي ، المستوى الدلالي المستوى التركيبي وزاد بعضهم فتكلم عن المستوى البلاغي "البياني" وهو مستوى غير مألوف ضمن مستويات التحليل .

ويتصدى التحليل الأسلوبي في مستوى الصوتي للظواهر الصوتية المتعددة فيدرس الطرق الصوتية المتبعة في النص ،ويدرس ضمن هذا المستوى الإيقاعي ، العناصر التي تعمل على تشكيلة والأثر الجمالي والذي يحدثه الإيقاع كما يتم تناول الصوت مجردا ، أي يعتمد على تكرار هذا الصوت ، وهذا لما يحدثه تكرار الأصوات المتجانسة من دلالات موحية متعددة فالصوت ليس له قيمة دلالية في ذاته وإنما من ائتلافه ضمن نسق كلامي محدد يكمن أن يولد دلالة ما .

ويتركز التحليل الأسلوبي للمستوى التركيزي على دراسة الجمل وأطوالها ، دراسة أركان التركيب المتعددة ، وكذلك الروابط التركيبة وترتيب والتركيب وما يخص من تقديم وتأخير ، وتدرس كذلك الفصائل النحوية . (التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث ..) وأيضا تدرس الضمائر والأدوات وصيغ الأفعال وزمانها.

وعملية دراسة التركيب لا تتوقف عند جملة بل تتعداها إلى فقرة ثم العمل كاملا . كما إن تحليل الأسلوبي على شبكة المعاني داخل النص حين بحثه على الظواهر الدلالية ويهتم بتعين الحقول الدلالية لدراسة مفردات الكاتب والعلاقات القائمة بينهما. حيث يدرس في هذا المستوى الكلمة مع إبراز أهمية السياق الذي تقع فيه وتأتي الأهمية في تنوع، دلالة الكلمة بتنوع سياقاتها [1].

[1] أميرن ، مناهج النقد الأدبي ص 96 – 97 .

تدرس كلمة من خلال علاقتها مع ما يجاورها من الكلمات الأخرى ضمن السياق التركيبي الذي ترد فيه، كما تدرس من حيث علاقاتها الاستبدالية التي تحدد مجالها في التعبير بوجه خاص، وهذا يكون إبراز خصوصية الدلالة عند الكاتب فالكلمات المؤلفة للعمل الأدبي يأتي اختيارها لانسجامها مع إغراض الكاتب، وتستدعى ضمن النسق الاستبدالي الكلمات المشتركة مع الكلمات المدروسة في الحقل الدلالي نفسه لإظهار جمالية اختيار الكاتب لها، وتميزها عن غيرها ضمن النسق لكلامي الواردة فيه، إما الطريقة الثانية في التحليل الأسلوبي في تعامله مع الكلمات فيدرس الكاتب من دلالة كلماته ذات أهمية خاصة وتسمى بالكلمات المفاتيح ويستخدم الإحصاء في تحديد الكلمات [1] .

يتبين مما سبق أن الأسلوب يدرس ضمن المستويات اللغوية السابقة ،وبهذه الطريقة نلاحظ تضام هذه المستويات وائتلافها في تشكيل الأسلوب فكلا من : الصوت وكلمة وجملة يمثلون تناسقا في عمل الفني بحيث يوفروا انسجاما، تاما في الأصوات والدلالات والتركيب .

ويظهر من خلال هذا، إن الدراسة الأسلوبية، دراسة تحليلية تعتمد في تحليلاتها على المستويات اللغوية المتعددة ، فالأسلوب لا يقع ضمن هذه المستويات الثلاثة فالمستويات اللغوية مستويات تركيبة ، تحقق مجتمعة. النظام التام بين عناصر النص. وهذا يجعلها تختلف عن الأسلوب . فالأسلوب يتحقق بانسجامها وائتلافها معا. حيث نجد نهاد الموسى يفرد للأسلوب مستوى خاص

[1] ستيفن ألمان ، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب ص 119 .

من مستويات النظام اللغوي والمألوفة وهذا . لا يتوافق مع واقع الدارسة الأسلوبية لأن المستوى الأسلوبي مستوى التحليل وبقيت المستويات اللغوية مستويات تركيبة تشغل كل الأسلوب [1] .

[1] نهاد الموسى ، دليل دراسة مقرر اللغة العربية الوحدة الأولى جامعة القدس المفتوحة ص 16 .